دكتور بهاء الأمير

رد على نقد بخصوص كتاب شفرة سورة الإسراء ٢

النقد

Joseph Omar

السلام عليكم، رجاء شديد للدكتور بهاء أن يجيب على هذا: قبل عدة أيام دخلت في نقاش مع أحد منتقديك على كتاب شفرة سورة الاسراء، وقال: نقض فكرة وجود مؤامرة يهودية ستسيطر على المسلمين أو النصارى قوله: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾.

العلو اليهودي والإفساد انتهى ومضى، وأسرهم البابليون والرومان والمسلمون واضطهدتهم الكنيسة.

﴿ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾، المتبع لعيسى فعلاً هم المسلمون، والمتبع له اسماً هم النصارى.

وقال أيضاً: كيف نقول إن الدجال هو صاحب أكبر فتنة ولم يذكر في القرآن ونقول عن اليهود هم سبب الفتن، وكيف نقول بأن اليهود يدبرون ويخططون وأنهم مدبرو الحروب والله يقول: ﴿ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ﴾.

وقال عن آية: ﴿ عِبَادًا لَّنَآ ﴾ إنهم البطالمة الإغريق، احتلوا المسجد أيام اليهود الحشمونيين قبل الميلاد، ثم لما ورث الرومان الإمبراطورية والثقافة الإغريقية احتلوا المسجد ودمروه سنة سبعين بعد الميلاد.

الملخص يقول بأن كل هذا من الهوس بنظرية المؤامرة وأن اليهود على مر الزمن كانوا أذلاء امام النصارى وكل العالم:﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًىۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ﴾، وأن دولتهم التي قائمة الآن هي فقط دولة علمانية لا علاقة لها باليهودية، هذا الذي قاله طبعاً أنا رددت عليه في البعض منه، أرجو من الدكتور الإجابة والتعقيب عليها وبارك الله فيك.

الرد

دكتور بهاء الأمير

١

بعض من يحفظون القرآن أميون، لأنهم يحفظونه ويتكلمون عنه ويتكلمون فيه لكنهم لا يفكرون به ولا يرون من خلاله وتغيب عنهم قضاياه المحورية، وليس في وعيهم وهم يفسرونه لماذا ينزل الله وحيه ويرسل رسالاته ويبعث رسله، ولماذا يخبرهم بما أنزله في هذا الوحي والرسالات من أخبار.

فالله أنزل وحيه وأرسل رسله لتكون كتبه بياناً لحقائق الوجود ولإقامة الحياة وفهم التاريخ كله ومساره وما يحكمه، وما فيه من قصص وسيلة للوصول إلى هذه الغاية وبيان للمفاصل والمفارق التي افترق عندها البشر وتكونت بافتراقهم فيها الديانات والملل.

والذي يجب أن يعيه من قال لك هذا الكلام قبل أن يفسر أن القرآن بيان الله إلى خلقه كافة وما يخبرهم به فيه لأنه يتصل بوعيهم وفهمهم للوجود والحياة والتاريخ في كل زمن وليس برديات ولا نقوش في متحف تتكلم عن أخبار معزولة عن حياة البشر وما ينبغي أن يستقر في عقولهم.

٢

يخبرنا عز وجل أنه أنزل آيات سورة الإسراء على النبي الخاتم وأنه أنزل هذه الآيات نفسها من قبل على موسى عليه السلام، فهل أنزل الله عز وجل رسالتين وبعث بهما اثنين من أولي العزم من الرسل، واستودع إحداهما في كتاب وأخذ العهد على الربانيين والأحبار بحفظه، واستودع الأخرى في كتاب وتعهد هو ذاته بحفظه وخاطب به البشرية كلها من أجل الدولة الحشمونية التي دامت بضع عشرات من السنين في بقعة معزولة من الأرض ثم انتهت وفنيت وانقطعت آثارها أم من أجل كشف خفايا الطائفة من بني إسرائيل التي تكتم وحيه وتضلل البشر عنه، كما نص هو ذاته عز وجل في بيانه إلى البشرية، وهل أنزل عز وجل وحيه وكتابه على بني إسرائيل يخبرهم فيه بالبطالمة أم بالنبي الخاتم والرسالة الأخيرة؟

٣

تفسير آيات سورة الإسراء بالأمم الوثنية وفي الماضي يعني إخراج القرآن من فهم التاريخ وعزله عن الحياة وفهمه بعيداً عن سيرة البشر وما شهدته مسيرتهم ووضعه على رفوف المتاحف، وإذا

كان علو بني إسرائيل في الماضي وانتهى فلماذا أخبرنا الله عز وجل به في رسالته الخاتمة التي يخاطب بها البشر كافة، وإذا كان ذلك كذلك، وبنو إسرائيل خرجوا من التاريخ ولا علاقة لهم بأحداثه، فمن الذي يناديه الإله ويخاطبه بقوله: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ ؟

أما تفسيرها بالنبي الخاتم والرسالة التي بُعث بها فيعني إدخال الوحي إلى الحياة وفهم كل شيء فيها من خلاله وتسليطه نوراً على التاريخ لرؤيته وإدراك لماذا يسير في مساره، وفهم أحداثه من خلاله.

٤

الذي قال لك هذا النقد ارتكب كل ما بيناه في كتاب شفرة الإسراء من أخطاء المفسرين في التعامل مع الآيات، فبدلاً من أن يولي عنايته لنص الآيات نفسها، وبدلاً من أن يقوم بفحص نسيجها بدقة واستخراج المعاني التي تتكلم عنها داخل هذا النسيج وفي ضوء سيرة بني إسرائيل في القرآن كله وإخباراته عنهم ثم يبحث بعد ذلك عن مَن ومتى وأين، بدلاً من ذلك ترك الآيات ورماها خلف ظهره وضرب عُرض الحائط بتفسير سورة الإسراء نفسها للمقصود بالوعد المفعول في المرة الأولى، وانطلق راكباً الأوهام التي في رأسه ليفسرها بتواريخ بائدة لأمم وثنية لا علاقة لسيرتها بنص الآيات.

فاسأله: كيف يكون تفسير ﴿ عِبَادٗا لَّنَآ ﴾ هو البطالمة أو الدولة السلوقية أو أي أمة وثنية والآيات نفسها تنص على أن هؤلاء العباد في المرتين هم نفس الأمة، فالضمائر كلها في المرة الثانية في قوله: ﴿ ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ ... فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـٔۥُواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا ﴾، الضمائر كلها تعود على: ﴿ عِبَادٗا لَّنَآ ﴾ في المرة الأولى، وهو ما يعني أن العباد في المرتين أمة واحدة، فهل عنده علم من التاريخ أو في أوهامه أن الحشمونيين غلبوا البطالمة ثم عاد البطالمة فغلبوهم؟

وهو في تفسيره تجاهل نص سورة الإسراء نفسها على المقصود بقوله: ﴿ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ﴾، وذلك في قوله تعالى على لسان الذين أوتوا العلم من قبله حين يتلى عليهم القرآن: ﴿ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ١٠٨ ﴾ التي تعني بالنص أن إعادة الوحي إلى العالم وكشفه للبشرية وإرسال النبي الخاتم به هو الوعد المفعول الذي وعده عز وجل لبني إسرائيل في الآيات التي أنزلها عليهم في التوراة، وأن الذين أوتوا العلم منهم يعلمون ذلك وأقروا به عند سماعهم القرآن.

ثم هو فسر آيات سورة الإسراء تفسيراً مزق به علائقها بالسورة كلها وما تخبر به، بعد أن فكك الآيات نفسها وقطع الروابط بين نسيجها، فإذا كان الإفساد والعلو الكبير هو الدولة الحشمونية والوعد الذي وعده الله لبني إسرائيل بالبطالمة، فلماذا ذكر آية الإسراء قبلها وذكر القرآن وهدايته للتي هي أقوم بعدها؟ ولماذا كان محور السورة كلها، وهي سورة بني إسرائيل، القرآن وأحكامه وإحكامه؟

٥

الذي قال لك هذا النقد لأنه أمي فهو لم يفهم من العلو سوى ما يفهمه غيره من الأميين، الدولة والسلطة والجيش، ولو كان هذا هو العلو المقصود في سورة الإسراء لكان أولى من الدولة الحشمونية بالتخليد والذكر الإسكندر الإغريقي والإمبراطورية الرومانية أو البريطانية أو الأمريكية، ولكان عز وجل أفرد لهؤلاء أضعاف أضعاف ما أفرده لبني إسرائيل.

فقل للذي قال لك هذا الكلام جرب أن ترسل مقالة إلى أي صحيفة في الشرق أو في الغرب ينكر من يكتبون فيها الألوهية ويتطاولون على الأنبياء ويهدمون الديانات ويسبون من يحكمونهم، جرب أن ترسل مقالة تشكك فيها في الهولوكوست أو تقلل من عدد من ماتوا فيه من اليهود، وستعلم حينها ماذا يكون العلو الكبير.

ثم هو ينفي العلو الكبير لأن دولة اليهود علمانية وليست يهودية، وهو مرة أخرى أمي يتكلم عن النص لكنه يفكر ويستنبط بعيداً عنه وعقله يعمل خارجه وليس داخله، فالله عز وجل يخبرنا في بيانه الخاتم أن هذا العلو الكبير لبني إسرائيل وليس للديانة اليهودية.

وقوله إن المسلمين هم الذين يتبعون المسيح وهم الذين فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ينقض كل ما يفهمه وما قاله عن العلو الكبير في شأن بني إسرائيل، فهل المسلمون اليوم فوق الذين كفروا بالمقياس الذي فهم به معنى العلو الكبير لبني إسرائيل؟

٦

الذي قال لك هذا النقد استدل بقوله تعالى: ﴿ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ﴾ على نفي تدبير اليهود وتخطيطهم للحروب، وهو استدلال مقلوب، لأن الآية تثبت ما يريد أن ينفيه، فكلما تعني الإصرار والتكرار والمتابعة، فهو يستدل بالآية على عدم تدبير اليهود للحروب بينما هي تؤكد ذلك وأنهم من يوقدون نيران الحروب وإن لم يظهروا في ميادينها، وأن الله هو الذي يطفأها بعد أن تتقد بهم فعلاً، فلو لم يوقدوها لما كان ثمة حاجة لإطفائها.

الخلاصة وثمرة المسألة كلها أن القرآن وحي الإله وبيانه إلى خلقه كافة، وما فيه من قضايا وإخبارات يجب أن يُفهم في هذا الإطار، وأن آياته تتكلم عن مسائل كبرى وقضايا كلية وليس عن تفريعات ومسائل جزئية أو أخبار محلية ينحصر أثرها في زمان أو بقعة، وأن فهم ما الذي يتكلم عنه يحتاج وعياً وعقولاً ترتفع إلى مستواه وتدرك أولاً أن هذا بيان الإله وليس بيان حضرة العمدة، وأنه كتابه للبشرية يكشف لها فيه حقائق الوجود ومسار التاريخ كله وما يحكمه ويعرفها من خفاياه ما ليس في طاقتها أن تصل إليه وحدها وليس كتاب التاريخ في مدرسة كفر البلاص الابتدائية المشتركة، فبعض من يتكلمون عن القرآن أو يتكلمون فيه يرون مسائله وقضاياه الكبيرة من خلال وعيهم الضيق وأدمغتهم الصغيرة، ويحصرون دون وعي ينابيعه المتفجرة ومياهه الدفاقة داخل البِرك التي في رؤوسهم.

والقول إن آيات سورة الإسراء تخبر عن أمم وثنية غبرت وانتهت وانقطعت آثارها ولا علاقة لها بمسألة الوحي وإخفائه ثم بعثة النبي به وإعادته للعالم، ولا بالحياة ومسيرة البشر، هو بالضبط مثل القول إن الله أنزل القرآن من أجل قريش ومن يعبدون الأوثان في مكة وفقط، وأن ما يخبرنا به من سيرتهم ليس له غاية سوى التأريخ لأقوالهم وأفعالهم في اللحظة والبقعة التي شهدتها وعاصرت نزله.

الدولة الحشمونية والبطلمية والبابلية والرومانية تواريخ وصل لها البشر وعرفوها وسجلوا دقائقها وتفاصيلها بأنفسهم وعلومهم المكتسبة، أما الطائفة من بني إسرائيل التي تحوز الوحي وتكتمه وتبث تحريفه وتحرك التاريخ من خلال هذا الكتم والبث فلا طاقة لأحد من البشر ولا للبشرية كلها أن تصل إليها، وليس عندها من العلم ما يُمكِّنها من معرفتها أو مجرد الوعي بوجودها وما تريده وتفعله، ولولا أن كشفها الوحي ما علم أحد بها ولظلت هي وما تحوزه من قوة الوحي وما تدبره خفاءًا مخفياً إلى يوم القيامة، وهو ما من أجله أفرد الله عز وجل في بيانه إلى البشرية لهذه الطائفة ما لم يفرده لأعتى الإمبراطوريات وأعرق الملكيات، وما يفسر لماذا يبدو هذا البيان وكأنه لا يرى في البشرية كلها سوى بني إسرائيل.

دكتور بهاء الأمير

القاهرة

٤ م ذي الحجة ١٤٣٧هـ/٥ سبتمبر ٢٠١٦م